مصطلح (الاضطراب)
دراسة تأصيلية عند النحويين

الكلمات المفتاحية (الاضطراب ، النحوي ، دراسة)

البحث مستل من أطروحة دكتوراه

أ. د إبراهيم رحمن حميد الاركي
جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
profibraheemaa@yahoo.com

م.م إبراهيم عبد الله مراد
barham25@yahoo.com

الملخص

يعدّ المصطلح من أبرز مفاتيح العلوم ، فهو اتفاق مجموعة ما على شيء باسم ما ، بعد أن ينقل هذا الاسم من معناه اللغوي إلى معنى آخر لمناسبة بينهما ، وقد تتّبع هذا البحث مصطلحًا من مصطلحات النحويين هو مصطلح (الاضطراب) ، إذ ثبت أنه مصطلح شائع الاستعمال عندهم ، ويراد به ذكر أكثر من رأي أو قول في مسألة من مسائل النحو عند العالم نفسه لسبب من الأسباب ، وقد استعمل المصطلح عند القدماء والمحدثين على حدّ سواء ، وقد وردت ألفاظ (اضطرب ، واضطربت) عند النحويين في اشارة إلى وصف حالة عدم الاستقرار أو عدم الاتفاق على قول واحد أو رأي واحد ، أو للدلالة على التخليط والتخبط أو الخلل بمعنى عام .

وسنتناول في الصفحات القادمة معنى (أضطرب واضطراب) في التراث ، وبحثها في اللغة والاصطلاح ، وكذلك تتبع هذا المصطلح عند النحويين القدماء والمحدثين وإشارة غير النحويين إلى هذا المصطلح ، وبحث مصطلح (اضطرب ، واضطراب) من حيث الدلالة والاستعمال .

المقدمة

إنّ المتتبع لأخبار التراث العربي تنتابه الدهشة ، ويتملكه الذهول لعظيم صنيع الأقدمين في ما أنتجه علماء العربية على مرّ العصور ، وإنّ الفكر ليحار من مقدرة أولائك الأفذاذ وصبرهم على التتبع والاستقراء والتقعيد ، والنقل ، والأمانة ، والدقة ، والإخلاص .

لقد خلّف علماؤنا تراثا ضخمًا حافلا بالقضايا والآراء والأخبار والتوجيهات استوعبت مستويات اللغة كلها ، فمن ممحّص لمفرداتها ، وجامع لغريبها ، ومسترسل في ذكر أساليبها وطرائق تأليفها ، وضابط لأحكام أواخر ألفاظها وأواسط تلك الألفاظ وأوائلها وذلك كلّه دليل حرصهم على سلامتها ، ويمكن القول إنّه : ((تراث بالغ السعة ، عظيم الثراء رائع التنوع ، يتمثل فيه كافة الاتجاهات الفكرية التي عاشت في المراحل التاريخية المختلفة التي أثمرته))[١] .

إنّ نصيب الدراسات اللغوية والنحوية من ذلك التراث وافر، فكأنّ الدراسة النحوية نشأت فيه مكتملة ، إذ انتهج النحويون الأولون نهجًا محكمًا لم يُمكّن مَن خَلفهم من الحَيدة عنه ، فتعانقت جهود أجيال النحاة ، وتضافرت في إخراج تراث نحوي ثرّ عريق اتسع أساسه وتطاول على مرّ العصور بنيانه .

وهذا البحث يتناول مصطلح (الاضطراب) في التراث العربي تاريخه ومعناه واستعماله عند النحويين .

(اضطرب – اضطراب) لغة واصطلاحًا :

كلمة (اضطرب) على وزن (افتعل) هي في الأصل من الفعل الثلاثي المجرد (ضَرَبَ) ، فصيغتها (اضترب)، ثم أبدلت التاء طاءً ،((والعلة في قلب التاء طاءً أنّ حروف الإطباق مستعلية مجهورة والتاء مستفلة مهموسة والجمع بينهما شاق على اللسان فحولوا التاء طاءً لأنها من مخرجها والطاء مجانسة لبقية حروف الإطباق))[٢] .

أولا : الاضطراب لغــة :

جاء في العين : ((الاضطراب: تَضَرّب الولدِ في البطن ، ويقال: اضطَرَبَ الحبلُ بين القوم إذا اختلفت كلمتُهُم ، ورجل مُضْطَرِبُ الخَلْقِ : طويل ....))[٣]

ولم تخرج المعجمات التي ذكرت هذا اللفظ عمّا أورده الخليل (ت١٧٠هـ) .

قال الجواهري (ت ٣٩٣هـ) : ((والموج يَضطرِب أي يَضرِبُ بعضُه بعضًا. والاضطرابُ: الحَركةُ، واضطَرَبَ أمرُهُ : اختلّ ، وهذا حديثٌ مُضطَرب السَند))[٤].

وجعل ابن فارس (ت٣٩٥هـ) الضاد والراء والباء أصلا واحدًا[٥] ، ولكنّه لم يذكر كلمة الاضطراب ومعناها، بل طفق في بيان معاني (الضرب ، والضريب، والمضرب) وغيرها ، وذكر في أول الجذر أنه يستعار منه ويشبه به أو يحمل عليه [٦] .

وكان أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) دقيقاً في بيان المراد بـ(الاضطراب) وحقيقته ، فهو يرى أنّ الاضطراب((حركات متوالية في جهتين مختلفتين ، وهو افتعال من (ضرب)، يقال : اضطرب الشيء كأنّ بعضه يضرب بعضًا فيتمخض، ولا يكون الاضطراب إلاّ مكروهًا فيما هو حقيقة فيه أو غير حقيقة ألا ترى أنّه يقال: اضطربت السفينة واضطرب حال زيد واضطرب الثوب ، وكل ذلك مكروه))[٧] .

وقد تكررت المعاني التي ذكرها الخليل والجوهري في معجمات من جاء بعدهم ، ففي لسان العرب : ((الاضطراب : تضّرب الولد في البطن. ويقال: اضطرب الحبل بين القوم إذا اختلفت كلمتهم .واضطرب أمره : أختلّ، وحديث مضطرب السند ، وأمر مضطرب...))[٨] .

وتكرر تلك المعاني في اللفظ المذكور يصل إلى حدّ التطابق أحيانا، قال الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) : ((اضطرب الشيء تحرك وماج كتضرّب. والاضطراب تضّرب الولد في البطن .

واضطرب البرق في السحاب : تحرك . واضطرب الرجل: طال مع رخاوة . ورجل مضطرب الخَلْق : طويل غير شديد الأسر . واضطرب أمره اختلّ .

يقال: حديث مضطرب السند ، وأمْرٌ مُضْطَرِبٌ)) [٩].

يلاحظ أنْ لا جديد فيما أشارت إليه المعاجم في دلالة (اضطرب) ، وذلك أمر طبيعي إذ إنّ دلالة اللفظ لا تتعدى ما ذُكِر تقريبًا ، لكن ثمة فارق يسير أضافته المعجمات المتأخرة في دلالة هذا اللفظ .

قال الشرتوني (ت١٣٠٧هـ) : ((اضطرب الشيء : تحرك وماج وضرب بعضه بعضا ... واضطرب أمره : اختلّ ... واضطرب الرجل في أموره : تردد وارتبك وجاء وذهب...))[١٠] .

فقوله: (تردد و ارتبك) أضافت معنًى دلاليًا لم نجده في معجمات من سبق، ولعلّ هذا التردد والارتباك هو ما نبحث عنه عند حدّهم لمصطلح (الاضطراب) فيما بعد.

جاء في المعجم الوسيط – بعد الإشارة إلى المعاني آنفة الذكر – : ((ويقال: اضطرب الحبل بينهم : اختلفت كلماتهم وتباينت آراؤهم))[١١].

فأضاف (تباينت آراؤهم) ، وكأنّ التباين ، والتردد ، والارتباك دلالات مستحدثة أوجدتها ضرورة التعبير عن (المفهوم) المعروف عند الناس ، وأظنّ أنّ هذه الإضافة على جدتها تصب في مجرى الدلالة الأول.

ثانيا : الاضطراب اصطلاحًا

لم نجد اختلافًا بيّنًا في المعجمات التي عنيت بالمصطلحات حين ذكرت هذا المصطلح (الاضطراب) عن معجمات المفردات ، فكأنّ هذه أخذت عن تلك .

ففي التوقيف على مهمات التعاريف : ((الاضطراب : التحرك والاختلاف ، واضطربت الأمور : اختلفت))[١٢] .

وقال أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ) : ((الاضطراب: الاختلال ، يقال : اضطرب أمره إذا اختلّ ، واضطربت أقوالُهم إذا اختلفت ، من قولهم: اضطَرب القومُ بمعنى اختلفت كلماتهم))[١٣] .

ويكاد يكون الذي ذكره الكفوي هو المعنى نفسه الذي ذكره صاحب العين أو اللسان أو غيرهما ، وليس ذلك بغريب .

(اضطرب – اضطراب) في كتب التراث العربي :

لم يكن مصطلح (الاضطراب) غريبًا أو محدثا في الدراسات اللغوية ، فهو مصطلح قديم استُعمِل لعدّة معانٍ، فضلا عن وروده في شعر من يُستَشهدُ بشعرهم في الدلالة التي نريد إيضاحها .

جاء في العين[١٤] من رجز سُحيم بن واثل اليربوعي (ت٦٠هـ) :

إنّي إذا مــا القوم صاروا أنــجيــهْ

واضطربَ القومُ اضطرابَ الأرشيهْ

وقال ذو الرّمة (ت١١٧هـ) :

والقِرطُ في حُرّة الذِفْرَى مُعَلَّقُهُ

تبَاعَدَ الحبلُ منهُ فهو يضطربُ [١٥]

وقال في مناسبة أخرى :

بركبٍ سَروا حتى كأنّ اضطرابَهمُ

على شُعَب المسّ اضطرابُ الغدائرِ [١٦]

وقد أورد سيبويه (ت١٨٠هـ) – رحمه الله – هذا اللفظ في كتابه في إشارة لغوية دلالية ، فقال: ((ومثل هذا الغليان ؛ لأنّه زعزعة وتحرك ، ومثله الغثيان ؛لأنّه تجيّش نفسِهِ . ومثله الخطران واللمعان ؛ لأنّ هذا اضطراب وتحرّك))[١٧] .

فلم يخرج لفظه عنده عن التوجيه المعجمي ، وكأنّه أراد به عدم الاستقرار .

وأفرد أبو عُبيد القاسم بن سلاّم (ت٢٢٤هـ) بابًا في غريبه سمّاه (باب اضطراب الرأي)[١٨]، أورد فيه نصًا للأصمعي (ت٢١٦هـ) في هذا المعنى أراد به التعدد وعدم الثبات على رأي واحد .

وكذلك فعل ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) ، إذ نقل كلام ابن سلام من غير ما إشارة إليه ، فقال : ((فإنْ اضطَرَبَ رأيُهُ قيل : غَيّقَ الرجلُ تغييقاً إذا لم يثبُت على رأي فهو يموج))[١٩] .

فكأنّ الاضطراب عنده مأخوذ من الموج – موج البحر– يضرب بعضه بعضاً فهو غير مستقر .

ويبدو أنّ هذا المصطلح (الاضطراب) أصبح أكثر نضجا عند ابن جني (ت ٣٩٢هـ) – رحمه الله– إذ ورد في خصائصه في موضعين كلاهما لم يخرج فيه عن حقل النقد اللغوي ، فقال في أولهما : ((وكذلك لو فشا في أصل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها ....))[٢٠] .

ذكر ذلك في باب (ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر).

واستعمل مصطلح (الاضطراب) في الموضع الآخر في باب (سقطات العلماء) ، فقال: ((وأما كتاب الجمهرة ففيه أيضًا من اضطراب التصنيف ، وفساد التصريف ما أعذر واضعه فيه ؛ لبعده عن معرفة هذا الأمر ...))[٢١] .

فاستعماله مصطلح (الاضطراب) في إشارة إلى مواطن الخلل والارتباك في منهج التأليف عند صاحب الجمهرة ، وعدم اتساق مادته يدل على أنّ هذا اللفظ ارتقى إلى مرحلة (الاستقرار المصطلحي) ، فضلا عن استعماله اللغوي المعروف .

وقد استعمل ابن جني مصطلح (الاضطراب) في كتابه المنصف في إشارة واضحة الدلالة للمفهوم الذي نحن بصدده ـ وان كان قوله منصرف إلى التصريف ـ فقال : ((ولهذا ما لا تكاد تجد لكثير من مصنّفي اللغة كتابًا إلا وفيه سهو وخلل في التصريف ، وترى كتابه أسدّ شيء فيما يحكيه ، فإذا رجع إلى القياس وأخذ يُصرّف ويَشتقّ اضطرب كلامه وخلّط . وإذا تأملت ذلك في لم يكدْ يخلو منه كتاب إلا الفرد ، ويتكرر هذا التخليط على حسب طول الكتاب وقِصَره))[٢٢]

وفعل ابن سيدة (ت ٤٥٨هـ) ما فعله الدينوري وابن سلاّم ، فافرد بابًا في مخصصه سمّاه (اضطراب الرأي وفساده)[٢٣] ، ثم ذكر ألفاظاً تدل على هذا المعنى كالتباس الأمر على الرجل فلا يدري كيف يصنع ، وغير ذلك .

يلاحظ مما سبق التفات العلماء إلى هذه الظاهرة (ظاهرة اضطراب الرأي) بشكل عام ، فقد أشاروا إليها وحددوا أبعادها على المستوى اللغوي من حيث ذكر المفردات التي تدل عليها وجمع المرادفات التي تنضوي تحت هذا العنوان .

وبعد اتساع دائرة التأليف النحوي وازدهار صناعته وبلوغها أوجّها وظهور نحاة فتّشوا في التراث ، وحددوا مواطن الإبداع فيه والتكلف ؛ أصبح مفهوم (الاضطراب) من المفاهيم النقدية عندهم . قال ابن برّي (ت٥٦٨هـ) : ((قلت: هذه المسألة من أشكل مسائل العربية التي اضطربت أقوال النحويين في تحقيقها. وقلّ أن تجد فيهم من قرّب مراميها ومحّص المعنى فيها))[٢٤] .

وهو يتكلم في مسألة (ليس الطيبُ إلا المسك) برفع المسك ونصبه واضطراب النحويين فيه.

وجاء في سفر السعادة لعلم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ) ((وأنا أكشف خبء هذه المسألة وأوضح السبب الموجب لما تفرع عنها ، فإنها من أشكل مسائل العربية التي اضطربت أقوال النحاة في تحقيقها))[٢٥] .

٢٢ – المنصف ، شرح التصريف : ٣

فمصطلح (اضطرب واضطربت واضطراب) صار مستعملا شائعًا عند النحويين في وصف حالة عدم الاستقرار أو الاتفاق على مذهب واحد أو رأي واحد .

وكان جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٧٣هـ) ممن استعمل مصطلح (الاضطراب) في أدق وصف لبيان اضطراب أبي علي (ت ٣٧٧هـ) ، فقال : ((واضطرب قول أبي علي في ليس، فرجّح في بعض تصانيفه حرفيتها مع ظهور عملها ، والتزم في موضع آخر فعليتها وإبقاء عملها في نحو : ليس الطيب إلا المسك ، وذهب إلى أنها متحملة ضمير الشأن اسماً، وما بعد ذلك خبرها))[٢٦] .

واستعمل الرضي الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) المصطلح نفسه في شرحه لكافية ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، فقال في باب مسوغات الابتداء بالنكرة : ((... نحو من صَمَتَ نَجَا، تحصل الفائدة فيها بسبب التعّين الحاصل من العموم ، لا بسبب تخصصها بشيء. وقد اضطربت أقوالهم فيها . فاختار الأندلسي أنّ الخبر هو الشرط دون الجزاء ...))[٢٧] .

فقوله (قد اضطربت أقوالهم فيها) دليل على تطور الفكر النحوي عنده ، فاطلاعه على آراء من سبقه والموازنة فيما بينها جعله يصدر حكمًا في تعددها واضطرابها ، ثم التوجيه بالأصوب عنده منها .

وذكر أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) في التذييل والتكميل (اضطراب) ابن عصفور (ت٦٦٩هـ) في دلالة (الكلام) على معانٍ محددة ذكرها ، فقال : ((وقد اضطرب كلام ابن عصفور في دلالة (الكلام) على هذه المعاني ، فزعم مرة أنّ الكلام بالنظر إلى اللغة لفظ مشترك بين هذه المعاني ، وزعم مرة أنّ الكلام في أصل اللغة اسم لما يُتكلم به من الجمل ، سواء أكانت مفيدة أو غير مفيدة ، وقد تخرجه العرب عن ذلك ، قال فتستعمله مصدرًا لكلّم ...))[٢٨].

وموقف أبي حيان هذا من كلام ابن عصفور وغيره _ كما سيأتي _ دليل تمحيص وبحث دقيق في الأحكام النحوية التي صدرت عنه أو عن غيره ، فكانت آراء علماء الحقبة المتقدمة تخضع للدراسة والتحليل ثم توصف بالصحيحة ، أو الضعيفة أو المضطربة أو غير ذلك ، وهذا شأن نحاة القرون المتأخرة ، فسميت تلك المدّة _ أي القرن السابع وما بعده_ سميت (بعصر التصحيح والتثبيت) ، إذ اكتملت أبعاد الدراسة النحوية بجميع أشكالها[٢٩].

وانطلاقا من موقف أبي حيّان ومَن سَبقه ومَن خَلفَه من النحاة في رصد هذه الظاهرة عند نظرائهم واستعمال مصطلح (الاضطراب) في بيان تعدد آراء العالم الواحد في المسألة الواحدة ، فإنّ هذا جلّ ما يريده البحث .

ولم يكن أبو حيّان وحده ممن آخذ ابن عصفور على اضطرابه ، بل ذكر ذلك أيضًا السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) في مسألة أخرى في الدر المصون، فقال : ((وقد اضطرب فيها كلام ابن عصفور ، فعدّها تارة مع ما يلزم فيه إضمار الناصب نحو (سبحان الله وريحانه)، و(غفرانك لا كفرانك) ، وتارة مع ما يجوز إظهار عامله . والطلب في هذا الباب أكثر ...))[٣٠].

وليس المراد فيما ههنا ذكر رصد النحاة لاضطرابات الأشبيلي ، بل المراد من ذلك بيان التفات النحويين إلى أن ظاهرة تعدد آراء العالم الواحد في المسألة الواحد مطلقين على هذه الظاهرة (الاضطراب) .

واستعمل ابن هشام (ت٧٦١هـ) المصطلح نفسه في رصده لتعدد آراء الزمخشري في مسألة (الجملة الواقعة مفعولا به) ، قال ابن هشام: ((... واضطرب في ذلك كلام الزمخشري ، فقال في قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [٣١] في سورة هود : إنما جاز تعليق فعل البلوى لما في الاختيار من معنى العلم ؛ لأنّه طريق إليه ، فهو ملابس له ...))[٣٢].

ولا يخفى على دارس للعربية ما لابن هشام من فكر نحوي ثاقب ، ومكانة علمية مرموقة ، ودقة في تحليل النصوص ، واستعمال ابن هشام لفظ (اضطرب كلامه) يقوي مذهبنا في إثبات وجود ظاهرة الاضطراب .

ومن أمثلة استعمال النحويين للفظ (اضطرب) ورسوخ مفهومه عندهم إشارة بهاء الدين بن عقيل (ت ٧٦٩هـ) إلى اضطراب أبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) في مسألة زيادة الباء في خبر ما الحجازية ، قال ابن عقيل : ((وقد اضطرب رأي الفارسي في ذلك ؛ فمرة قال: لا تزاد الباء إلا بعد الحجازية ، ومرة قال: تزاد في الخبر المنفي))[٣٣] .

وفي موضع آخر من شرحه لألفية ابن مالك أشار إلى اضطراب ابن عصفور كما فعل أبو حيان والسمين الحلبي من قبل ، فقال في مسألة (الألف واللام الداخلتين على صفة

مشبهة هل هي موصولة أم لا ؟) : قال ((وقد اضطرب اختيار الشيخ أبي الحسن بن عصفور في هذه المسألة ؛ فمرة قال: عنها موصولة ، ومرة منع ذلك))[٣٤] .

ولم يعقب السيوطي (ت٩١١هـ) على قول أبي حيّان حين نقله بنصه في مسألة أخرى – من غير ما ذُكر– اضطرب فيها ابن عصفور أيضًا ، فقال : ((قال أبو حيان : وذهب بعض النحويين إلى أنه يجوز النصب بعد أفعال الشك ، نحو : حسبته شتمني فأثبَ عليه ... قال : وقد اضطرب في هذه المسألة ابن عصفور فأجازه في شرح القانون ومنعه في شرح الجمل الكبير))[٣٥] .

ولعلّ سكوت السيوطي هذا يعدّ إقراراً منه بوجود الاضطراب عند ابن عصفور.

إنّ ملاحظات النحويين والتفاتاتهم إلى وجود هذه الظاهرة لم تكن محددة في مدّة زمنية ، بل تكررت إشاراتهم وعباراتهم ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في حاشية الصبّان (ت١٢٠٦هـ) ، قال : ((التمثيل بجمع آدم وتصغيره مبني على أنّه عربي ، وقد اضطرب فيه كلام الزمخشري فذهب في الكشاف إلى أنه أعجمي على وزن فاعل كآزر ، وذهب في المفصل إلى انه عربي على وزن أفعل))[٣٦].

واضطراب الزمخشري واضح بيّن . ولو أننا مضينا نعدد اضطرابات النحويين لطال بنا المقام ، ولعلّ تلكم الإشارات التي مرّت تثبت أنّ مسألة تعدد الآراء في المسألة الواحدة عند العالم الواحد موجودة ؛ بل مسلّم بها ، وقد انسحبت تلك الظاهرة على كتب النحو عامّة.

ومن أمثلة ذلك إشارة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد (ت١٣٩٢هـ) في تحقيقه لشرح ابن عقيل ، فقد ذكر اضطراب النحاة في مسألة إثبات النون وحذفها في الشاهد الشعري وهو قوله[٣٧].

قدْنِي من نَصْرِ الخُبَيبَينِ قدِي ليس الإمامُ بالشَحيحِ المُلحِدِ

قال الشيخ محمد محيي الدين : ((الشاهد فيه قوله : (قدني) و (قدي) حيث أثبت النون في الأولى وحذفها في الثانية ، وقد اضطربت عبارات النحويين في ذلك، فقال قوم إنّ الحذف غير شاذ ....))[٣٨] .

ثم يذكر قول سيبويه في المسألة ، وقول الأعلم (ت٤٧٦هـ) ، وابن برّي (ت٥٨٢هـ) وغيرهم.

ولم يقتصر استعمال مصطلح (الاضطراب) عند المحدثين على الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد فحسب؛ بل استعمله نحويون محدثون غيره ، فالدكتور هادي نهر استعمله، فقال: ((وقد اضطرب ابن هشام إزاء هذه المسألة ، فقد منع جواز توكيد النكرة منعا مطلقا في كتابه شرح الشذور ، وجعله نادرا في شرح اللمحة ... وتابع ابن مالك في اختياره مذهب الكوفيين في كتابه أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك))[٣٩] .

ومما يدلّ على تفشي الاضطراب عند النحويين أن يشار إليها في غير كتب النحو، فثمت عبارات دلت على وجود هذه الظاهرة في كتب علوم القرآن ، وكتب التفاسير وغيرها .

قال الزركشي (ت٧٩٤هـ) في باب (أحكام اختصت بها همزة الاستفهام) بعد أن ذكر تقديمها على الواو وعلى غيرها من حروف العطف ، قال : ((والزمخشري اضطرب كلامه، فتارة يجعل الهمزة في مثل هذا داخلة على محذوف عطف عليه الجملة التي بعدها ، ... وتارة يجعلها متقدمة على العاطف كما ذكرناه وهو الأولى))[٤٠] .

فإشارة الزركشي تنبي عن اتساع أبعاد هذه الظاهرة أولا، واستعمال اللفظ (اضطرب) ثانيا لتأكيد وجودها .

ومما جاء في كتب التفسير في ذلك قول ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) في التحرير والتنوير، قال : ((والتحقيق أنّ كلام سيبويه بريء مما حمّلوه ، وما نشأ اضطراب كلام النحاة فيه إلا من فهم ابن مالك لكلام سيبويه . وقد ردّه أبو حيّان ردًا وجيهًا))[٤١] .

وقال في موضع آخر: ((وللمفسرين وكتب اللغة اضطراب في شرح معنى اللمز ، وهذا الذي ذكرته هو المنخول من ذلك))[٤٢] .

وتكرر مصطلح (الاضطراب) في تفسير ابن عاشور مرات عديدة أراد في أغلبها الدلالة على تعدد الآراء ، واختلاف المفسرين – ممن ذكرهم – في تفسير آية ما ، أو توجيهها نحويًا أو لغويًا [٤٣] .

ومن الجدير بالذكر أنّ مصطلح (الاضطراب) استعمل في إحدى دلالاته على : التخليط ، والتخبّط ، و الخلل في معنى عام لم يقصد به نحوي أو غيره ؛ وإنّما قصد بذلك وصف علة تنتاب السجع أو الشعر ، ويقترب هذا الوصف من الناحية اللغوية من المفهوم الذي نبحث فيه ، إذ يعبّر تعبيرًا دقيقاً عن المراد بـالاضطراب عند النحويين ، قال الباقلاني (ت٤٠٣هـ) : ((فإن قيل : متى يخرج السجع من المعتدل إلى نحو ما ذكرتموه ..... قيل

متى وقع أحد مصراعي البيت مخالفًا للآخر كان تخليطاً وخبطاً ، كذلك متى اضطرب احد مصراعي الكلام المسجع وتفاوت كان خبطاً.

وقد عُلم أنّ فصاحة القرآن غير مذمومة في الأصل ، فلا يجوز أن يقع فيها نحو هذا الوجه من الاضطراب))[٤٤] .

أراد بهذا النص دفع شبهة القائلين بوجود السجع في القرآن الكريم ، ثم استعمل لفظ (الاضطراب) للخلل الذي ينتاب أوزان السجع فتتفاوت ، ولا يسمى بذلك سجعاً أو شعراً، ثم نفي هذا كله في القرآن الكريم .

وهذه الإشارة وان كانت بعيدة عن موضوعنا إلا أنّ دلالة الاستعمال للفظ واحدة وهي المخالفة والخلط والتفاوت .

الخاتمة

وبعد فقد تبين مما سبق أنّ مصطلح (الاضطراب) جاء في التراث ، وأنّ استعماله في الغالب كان للدلالة على الاختلاف في الرأي والتباين فيه – عند العالم الواحد أو عند مجموعة من العلماء – والارتباك وعدم الاستقرار ، فمعناه يدور في فلك هذه الدلالات لا يخرج عنها . وأنهم استعملوه في وصف حالة اضطراب النحوي في إصدار حكمه في مسالة من مسائل النحو فقالوا مثلا : واضطرب فلان في مسألة كذا فذهب مرة أنها حرف جر ، وذهب مرة أخرى أنها حرف زائد ، على سبيل المثال ، ولم يكن مصطلحًا غريبًا أو محدثًا بل هو مصطلح قديم معروف الدلالة .

Abstract
The use of the Term Iddrab(unstability)
By Arab Grammarians

Prof. Dr. Ibrahim Rahman Hameed AL-Araky

Assist. Lecturer: Ibrahim Abdullah Murad

Diyala University
college of Education for the humanities
profibraheemaa@yahoo.com

The term is a key point in sciences . It is the agreement of a group of people on naming something after taking this name out of its linguistic meaning to another meaning suitable for its use. This paper studies the term (Iddrab) which is widely used by Arab grammarians.
Simply it means presenting more than one opinion about the same grammatical topic by the same author in two different places and times.
This term has been used by both early and classic authors . The term has been used with some derivations e.g. , Iddraba , Iddrabat (it was unstable) .This clearly refers to the instability or disagreement about a confusion in general .
The paper tackles the meaning of Iddrab from a linguistic and terminological point of view in addition to its use in early and modern books of Arabic grammar . The paper also studies the semantics and use of the term .

الهوامش

١. تقويم الفكر النحوي : ٤
٢. اللباب في علل البناء والإعراب : ٢/ ٣٤٦
٣. كتاب العين مرتبا على حروف المعجم : ٣ / ١٢
٤. الصحاح : ١ / ١٦٨
٥. ينظر: معجم مقاييس اللغة : ٣ / ٣٩٧
٦. ينظر : المصدر السابق نفسه : ٣ /٣٩٨
٧. الفروق اللغوية : ١٤٧

٨. لسان العرب : (ضرب) : ٤ /٢٥٦٥
٩. تاج العروس من جواهر القاموس : ٣ / ٢٤٨
١٠. أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد :١ / ٦٨٠
١١. المعجم الوسيط : ١ / ٥٣٦
١٢. التوقيف على مهمات التعاريف : ٥٥
١٣. الكليات :١٣٧
١٤. كتاب العين مرتبا على حروف المعجم :١٢١/٢، وينظر: لسان العرب (نجا):٤٣٦١
١٥. ديوان ذي الرّمة : ١٢
١٦. المصدر السابق نفسه : ١٣٣
١٧. الكتاب (ط هارون) :٤/ ١٤
١٨. الغريب المصنف : ٣/ ٨٠٢
١٩. كتاب الجراثيم :٣٨٤
٢٠. الخصائص : ٢ / ٥
٢١. الخصائص :٣ ٢٨٨
٢٢. المنصف ، شرح التصريف : ٣
٢٣. المخصص : ١٢ /١٣٥
٢٤. جواب المسائل العشر: ٤٠
٢٥. سفر السعادة وسفير الإفادة :٢/ ٨٠٦
٢٦. تسهيل الفوائد وتسهيل المقاصد : ١ / ٣٦٣
٢٧. شرح الرضي على الكافية : ١ / ٢٣٤
٢٨. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل : ١ / ٢٥
٢٩. ينظر : تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب : ٢٥
٣٠. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢ / ٦٩٦ – ٦٩٧
٣١. سورة هود / ٧
٣٢. مغني اللبيب : ٥ / ١٩٣ – ١٩٤
٣٣. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ١ /٣٠٩
٣٤. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ١ / ١٥٦
٣٥. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : ٢ / ٣١٩
٣٦. حاشية الصبّان على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك : ٤ / ٤١٩
٣٧. الشاهد رقم ٢١ في شرح ابن عقيل : ١ / ١١٥
٣٨. شرح ابن عقيل عل ألفية ابن مالك : ١ / ١١٦

٣٩. شرح اللمحة البدرية :١ / ١٥٨
٤٠. البرهان في علوم القرآن : ٢/ ٣٥٠
٤١. التحرير والتنوير : ٧ / ١٩٧
٤٢. التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢٤٨
٤٣. ينظر : التحرير والتنوير : مثلا : ١٠٨/١٦ ، ١٦٥/١٦ ، ٢٠٩/١٩ ، ٨٠/٢١ .
٤٤. إعجاز القرآن : ٥٩

المصادر

❖ **القرآن الكريم**

- إعجاز القرآن ، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ) ، بتحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر .
- البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ) ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث – القاهرة ، ط٣ ،١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م.
- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب ، د. محمد المختار ولد أباه ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م .
- التحرير والتنوير ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور(ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ م .
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ، لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، بتحقيق : د. حسن هنداوي ، دار القلم – دمشق ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٠م .
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك (ت٦٧٢هـ) ، بتحقيق : محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيّد ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
- تقويم الفكر النحوي، د. علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – ٢٠٠٥م .
- جواب المسائل العشر ، لابن برّي (ت٥٨٢هـ) ، بتحقيق: د. محمد أحمد الدالي ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .
- حاشية الصبان على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني ، بتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، المكتبة التوقيفية ، مصر– القاهرة ، د. ت .

- الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جنّي (ت٣٩٢هـ) ، بتحقيق : محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ، ط٤ .
- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) ، بتحقيق : احمد محمد الخرّاط ، دار القلم دمشق .
- ديوان ذي الرّمة ، قدم له وشرحه أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
- سفر السعادة وسفير الإفادة ، لعلم الدّين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣هـ) ، بتحقيق : د. احمد محمد الدالي، دار صادر للطباعة والنشر– بيروت، ط٢ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لبهاء الدّين عبد الله بن عقيل الهمداني (ت٧٦٩هـ) ، بتحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد ، دار مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، دار التراث – القاهرة ، ط٢٠ ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م.
- شرح الرضي على الكافية ، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر منشورات جامعة قار يونس بنغازي ، ط٢ ١٩٩٦م
- شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية ، لابن هشام الأنصاري (٧٦١) تحقيق: د. هادي نهر ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ،عمان– الأردن ٢٠٠٧م .
- الغريب المصنف ، لأبي عبيد القاسم بن سلّام (ت٢٢٤هـ) ، بتحقيق : د. محمد المختار العبيدي، نشر مشترك، المجمع التونسي للعلوم والادب والفنون بيت الحكمة، دار سحنون للنشر والتوزيع ، دار مصر للطباعة – القاهرة ، ط٢، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.
- الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ، بتحقيق : محمد ابراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة .
- الكتاب ، كتاب سيبويه ، لأبي بشر عمرو عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) ، بتحقيق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي– القاهرة ، ط٣، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

- كتاب الجراثيم المنسوب لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، بتحقيق: محمد جاسم الحميدي ، منشورات وزارة الثقافة ، الجمهورية العربية السورية – دمشق ١٩٩٧م.
- كتاب العين مرتبًا على حروف المعجم ، للخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) ، ترتيب وتحقيق د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .
- الكليات،لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، بتحقيق : عدنان درويش، ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٢، ١٤١٩هـ.
- اللباب في علل البناء والإعراب ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري(ت٦١٦هـ)، بتحقيق : غازي مختار طليمات ، دار الفكر ، سوريا – دمشق، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م
- لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور(ت٧١١هـ) ، بتحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف – القاهرة، د.ت
- اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ١٩٧١م .
- المخصص ، لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة النحوي(ت٤٥٨هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
- المعجم الوسيط ، جمهورية مصر العربية ، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، مكتبة الشروق الدولية ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .
- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، بتحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .
- المنصف ، شرح أبي الفتح عثمان بن جنّي النحوي لكتاب التصريف لبي عثمان المازني ، بتحقيق : إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، وزارة المعارف العمومية ، إدارة إحياء التراث القديم ، إدارة الثقافة العامة ، ط١ ، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.